

إيران في مهب عاصفة ظريف

د. حنظل أبودياب
أستاذ العلوم السياسية المركز
الدولي للدراسات والبحوث - باريس

تستمر تداعيات تسريب المقابلة المسجلة مع وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف، وبالفعل فقد صب التسريب الزيت على نار الصراع بين أركان النظام وتفاقم احتدام النزاع الداخلي في موازاة محادثات فيينا النووية وعشية الانتخابات الرئاسية في الثامن عشر من يونيو القادم.

وإذا كانت صناعة القرار في طهران معقدة وواضحة المعالم في أن معا بالنسبة إلى المتابعين، فقد أسهم ظريف في كشف خفايا لعب فيلق القدس دور "الدولة العميقة" وحجم الدور الروسي ضمن الصراع الدولي حول إيران، مما يبين وصول الانقسامات والأزمات داخل النظام إلى مستويات غير مسبوقة، وسيوقف الأمر على خلاصات المساومة حول العودة للاتفاق النووي والتي ستؤثر على الاتجاه في الانتخابات الرئاسية. وعندما ربما يكون ظريف مفاجأة الترشيحات في اللحظة الأخيرة (خاصة مع تضعف التيار الإصلاحية) أو يأخذ تقاعده في الولايات المتحدة الأميركية حيث عاش طويلا.

إذا كانت صناعة القرار في طهران معقدة وواضحة المعالم في أن معا، فقد أسهم ظريف في كشف خفايا لعب فيلق القدس دور «الدولة العميقة» وحجم الدور الروسي ضمن الصراع الدولي حول إيران

بعيدا عن التركيز على مستقبل الثنائي روحاني - ظريف في الترتيب الإيرانية، نلاحظ انهيار الوفاق أو الإجماع داخل النظام حيال القضايا المركزية والمصلحة بالأمن القومي، وهذا ما حدا بظريف نفسه للطلب من المرشد علي خامنئي عدم الضغط على المفاوضات في فيينا، وقيام وزارته بالتحذير من انعكاس الانقسام الداخلي على قوة الموقف الإيراني.

ومما لا شك فيه أن الخشية من إمسك الحرس الثوري الإيراني بمفاصل الدولة زاد من التطلعات بين الأجنحة، وامتت تسريبات ظريف لتكشف مدى "الهيمنة العسكرية" (أو بالأحرى هيمنة الدولة العميقة) من خلال فيلق القدس الجناح الخارجي للحرس الثوري الإيراني) على القرارات المصرية، ولم تنجح محاولة احتواء آثار عاصفة تسريبات ظريف مع قرار روحاني بإقالة مستشاره حسام الدين أشنا وجعله كيش الفداء، إذ أن المتشددين اتهموا فريق الرئيس بانتهاك الخطوط الحمراء للنظام من خلال "سارق" الملفات الصوتية الموجود بينهم". ومن الواضح أن مسؤولية التسريب يتقارنها فريق المتشددين المحافظين وجماعة الحرس من جهة وفريق روحاني - ظريف من جهة أخرى. ويصل الصراع إلى حد الانهيار بالخيانة وخدمة الأجنحة الخارجية. ويبرهن هذا الشرح على حالة الاضطراب والأزمة التي يعيشها النظام في تحديد خياراته والتي لا تحجب الأزمة الاجتماعية الحادة ومسلسل الاحتجاجات منذ نهاية 2017.

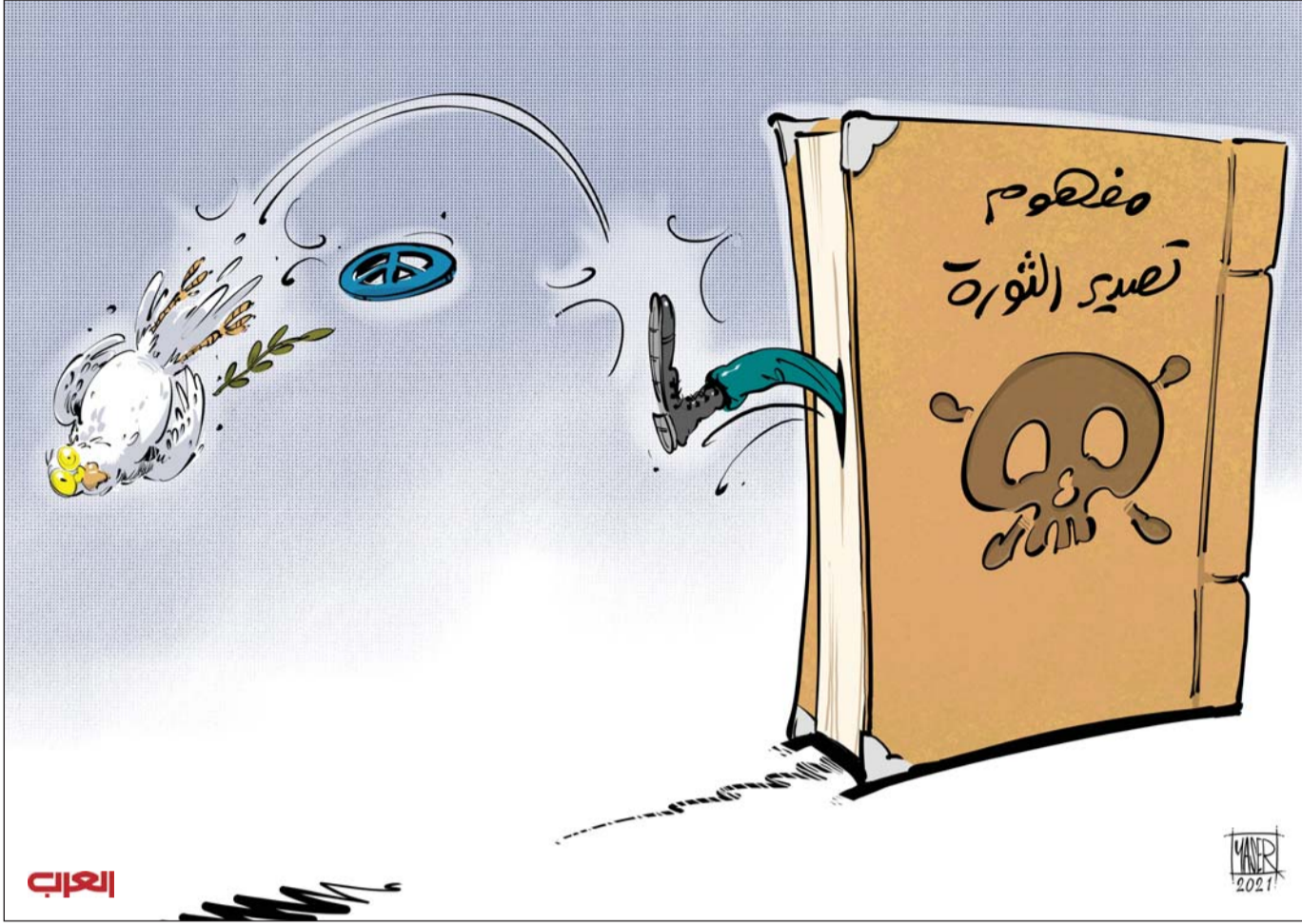
من ناحية التسلسل الزمني جرى تسجيل مقابلة ظريف في مارس الماضي في إطار أرشيف تاريخ، النشاط الرئاسي والدبلوماسي، وكان من المفترض أن تبت بعد رحيل الحكومة. ونظرا إلى شفافها جوانب خفية داخلية وخارجية، لا يمكن فصلها عن وصول الصراع

الداخلي للزروة مع التوجه لإحكام السيطرة الأيديولوجية - العسكرية والعلاقات مع روسيا والصين على حساب دعاة الانفتاح على الغرب من الطبقة الوسطى وأنصار "اللعبة الديمقراطية". والأرجح أنه لهذا السبب قام البعض من مكتب روحاني بتسريب المقابلة بقصد التحريض على التفاوض مع الولايات المتحدة، مع علمهم أن ذلك غير ممكن من دون قرار المرشد وغطائه. وإذا أراد أصحاب التسريب لفت أنظار وتوجيه تحذيرات عن مستقبل الوضع الإيراني بعد الانتخابات الرئاسية إذ أن وصول رئيس السلطة القضائية إبراهيم رئيسي أو الجنرال حسين دهقان، يمكن أن ينقل النزعة العسكرية من طابعها المستتر تحت جناح توازنات النظام إلى منحها "الشرعية الشعبية" بالإضافة إلى شرعية الولي الفقيه. أما التحذير الآخر الكامن وراء التسريب فيتعلق بدور روسيا الاتحادية ونفوذ موسكو في صنع قرار القوة الخارجية للحرس الثوري (فيلق القدس).

وأبرز الدروس المستفادة من الشريط المسرب إنهاء افتراض مشاركة الرئيس المنتخب وفريقه في اتخاذ القرارات حيث يعود كل شيء، عمليا ونظريا، إلى المرشد الأعلى والقائد الأعلى للقوات المسلحة. ونظرا إلى إمكانية تأثير موسكو في اختبار خليفة المرشد خامنئي من خلال نفوذها وتمكنها داخل فيلق القدس والمؤسسات الإيرانية، وفي هذا الصدد يعتبر أحد الدبلوماسيين الغربيين السابقين في إيران أن طهران تشهد نزاعا خفيا بين لوبي روسي مكون من البعض من الحرس الثوري وسياسيين (مثل الرئيس الأسبق محمود أحمددي نجاد)، ولوبي قريب لولاشطن بقوده محمد جواد ظريف بالذات. أما الصين والقوى الأوروبية فلا تمتلك نفس رافعات النفوذ على الساحة الإيرانية. بالنسبة إلى محيط المرشد والمحافظين المتشددين، تمثل الأدهى في قيام محمد جواد ظريف بمهاجمة روسيا وبياتي الكشف عن ذلك في لحظة احتدام التوتر بين بايند ووتين، وقد سبق لظريف أن انتقد في عدة مناسبات فيلق القدس، فرع الحرس المسؤول عن عمليات خارج الحدود الإقليمية، متهمها قائده السابق قاسم سليمان بالاضرار بالجهود السياسية لوزارته، لاسيما أثناء وبعد التوقيع في العام 2015 الاتفاق على ملف طهران. وقال ظريف في سياق المقابلة "استطيع أن أقول بجرأة إنني ساعدت المجال العسكري باستخدام الدبلوماسية أكثر مما خدم المجال العسكري للدبلوماسية".

من خلال تصريحات ظريف تكتشف معطيات جديدة عن اتخاذ القرارات في الحروب السورية، إذ أن الرواية السائدة كانت طلب إيران للتدخل الروسي الكثيف بعد زيارة قاسم سليمان إلى موسكو، نفهم من ظريف أن الرئيس بوتين هو الذي "أرغم طهران على إرسال قوات برية إلى سوريا" (في هذا المجال هناك شك بوجود تشجيع إسرائيلي للتدخل الروسي الواسع وتسليم أميركي بذلك). وفي نفس المنحنى كان من اللافت تأكيد ظريف على أن روسيا عارضت "خطة العمل الشاملة المشتركة" وعملت بشكل وثيق مع فيلق القدس على تقويض الاتفاق النووي، على الرغم من أنها ساعدت في التفاوض على وضعه. وإذا صحت رواية ظريف يمكن القول إن القيصر الجديد عمل على منع أوباما من تحقيق رهاقه في بلورة شراكة مع إيران.

سيستمر الجدل حول الشريط المسرب الذي نستنتج من خلال كلام حسين شريعتمداري المقرب من المرشد على صحة ما ورد فيه، ويبين ذلك احتدام الصراع على السلطة بين السياسيين المدنيين والعسكريين تحت عباءة المرشد، في موازاة تصدع المشهد السياسي إزاء استحقاقات مصرية حول مستقبل النظام وإيران والمنطقة.



العرب

الحوار السعودي الإيراني.. أصل الحكاية

اندفاع الميليشيات المتطرفة الموالية لإيران في توجيه الضربات الصاروخية على الأراضي السعودية، بعضها مؤثق لدى السلطات المختصة، ومثالها إطلاق الطائرات المخففة على قصر اليمامة بالرياض.

طهران بتصديرها للثورة تضع عواصم الخليج وفي مقدمتها الرياض على قائمة المدن التي تعمل على إخضاعها لهيمنتها، معتقدة أن الطريق سهل مظلما حصل في بغداد وبدمشق وبيروت وصنعاء، وهذه حقيقة يعرفها قادة الخليج أنفسهم ولدى دوائرهم الأمنية المعطيات المادية لهذا المشروع، وعيهم المتصاعد أريك مشروع التوسع وتصدير الثورة. حاليا ولي الفقيه يضع بين يديه مخطط التسلسل والنفوذ عبر الورقة "الشيعية" لهذا يحتاج إلى التهدة لتمكين أدواته الخارجية من التسلسل، وأدواته الداخلية من العمل التخريبي بحرية أكثر. والهدف العاجل هو الرياض وأبوظبي والبحرين، مسقط والدوحة مؤجلتان وتحتاجان إلى المناورة.

الحقد التاريخي على العرب يدفع طهران في استراتيجيتها الكبرى إلى أن يصبح الإنسان السعودي والإماراتي والبحريني جاععا مشردا غير آمن، مثلما حصل للعراقي الذي كان في طريقه للتقدم المدني والحضاري، وكذلك الإنسان السوري واللبناني. مشاعر حقد وثار من الإنسان داخل المجتمعات الخليجية الذي يعيش رفاها متميرا ومعدلات دخل عالية فيما يعيش الإيرانيون في أسوأ حال.

تحتاج الرياض إلى توضيحات رسمية على خلفية غموض الأخبار حول حوار سعودي إيراني، حيث يفسر البعض التصريح الأخير لولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بقوله "إيران دولة جارة ونطمح في أن تكون لدينا علاقات مميزة معها، نريد إيران دولة مزدهرة"، وكأنها تلميحات بقبول الرياض لعلاقات طبيعية مع طهران، مؤكدا أن الاستراتيجية السعودية في العلاقة مع النظام القائم في طهران ثابتة، والمطلوب من حكام طهران تغيير استراتيجيتهم وليس العكس.

الحوار الجاد والحقيقي بين دول الخليج وإيران يتطلب من النظام الإيراني الوصول إلى قرار تاريخي بالتخلي عن مشروع تصدير الثورة وبناء دولة إيرانية قادرة على التصالح مع شعوبها أولا، ثم الانسحاب من العراق وسوريا ولبنان واليمن لتمكين من التصالح مع دول الخليج العربي، فهل يقوم النظام بهذه الخطوة التاريخية، شك في ذلك.

وأهمية بأنها ستتساقط الواحدة تلو الأخرى كاحجار الدومينو بعد العراق، عبر تكرار نجاح توظيف نظرية مظلومية الشيعة في الأوساط الإعلامية العربية والعالمية واستثمار نفاق بعض الدول الأوروبية في هذا المجال، وتعزيز وتنمية أدوات التخريب الداخلية في عواصم تلك البلدان رغم الفارق الكبير ما بين نسب عدد سكان الشيعة في العراق عنهم في دول الخليج العربي. مسلسل التخريب والتآمر الإيراني على دول الخليج في السنوات الأخيرة أخذ أشكالا مختلفة، أخطرها استثمار مشكلة الحوثيين مع إخوانهم في اليمن على تقاسم السلطة، ثم انفجار الحرب غير المبررة منذ ست سنوات كمنصة لتصعيد العدوان على السعودية التي تعمل منذ فترة على إحلال السلام بعد أن أصبحت هذه الحرب مكلفة بشريا وعائقا ماديا وبشريا أمام تطلعات ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان وخطلته الإصلاحية (2020 - 2030).

إدارة بايند توظف ملف حرب اليمن ليصبح واحدة من أوراق صفقتها مع طهران، مستغلة رغبة الأطراف اليمنية والخليجية بإنهاء هذه الحرب غير المبررة؛ لو رفعت طهران يدها، وهي لن تفعل ذلك، لتم حل الأزمة بأيام، رغم الدعم الإيراني اللامحدود لقيادة الحوثي لكن يبقى الحوثيون يمينيين يمكنهم التفاوض مع إخوانهم.

العراق بسبب موقعه الجيوسياسي له تأثير أو تصعيد أو تخفيف الأزمة الإيرانية السعودية، ويجعل من حماسة الكاظمي الشخصية لانفراج العلاقة السعودية الإيرانية أمرا مبررا، قد يخفف أو يلغي حسب اعتقاده من

العرب واستمرار حالة التوتر خدمة لشركات التسليح. الموالون لطهران في العراق من بعض قادة الحكم، من داخل حكومة الكاظمي وخارجها، وآخرون من ذوي النيات الحسنة الذين يكتفون بدعوات التهدة وضرورة الخضوع لمتطلبات ظروف العالم الجديدة والدخول بحوار سعودي إيراني، يتجاهلون الحقائق السياسية والأمنية، وكأنهم يدعون إلى الخضوع لمنطق ولاية الفقيه وسياساته، مبرزين ذلك وهما بأن الحوار سيكون مع الدولة الإيرانية وليس دولة تصدير الثورة. وأن الانفتاح على قوى الإصلاح في الدولة الإيرانية سيعزز مكانة تلك القوى ضد الخط المتطرف والحرس الثوري الذين يقودهم جميعا خامنئي.

الحوار الجاد والحقيقي بين دول الخليج وإيران يتطلب من النظام الإيراني الوصول إلى قرار تاريخي بالتخلي عن مشروع تصدير الثورة وبناء دولة إيرانية قادرة على التصالح مع شعوبها أولا

أثار تسريب تسجيل مثير لوزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف من داخل مكتب رئيس الجمهورية حسن روحاني مسألة نفوذ الدولة الأيديولوجية المتمثل بالحرس الثوري وخضوع الدولة الرسمية لها، في حديثه الصريح حول وقائع تؤكد أن القليل قاسم سليمان كان المرجح لنفوذ الميدان القتالي على السياسة الدبلوماسية. وهذا يؤكد أن المؤسسات الرسمية، خاصة الخارجية، هي واجهات سياسية لا قرار لها، وأن الحديث عن تيار إصلاحية وآخر متشدد بدعة، فالقرار بيد خامنئي الذي يفتخر بإدارته لقوات الحرس الثوري وفعاليتها الخارجية.

الهيمنة الشاملة ولاية انتداب العراق أصابت ولي الفقيه الإيراني خامنئي بالغرور ودفعت به إلى التمسك بتلك النظرية الثورية الخطيرة وبتعزيز الوسائل والأدوات الموجهة ضد بلدان الخليج، بل على العكس من ذلك بقناعة

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

الإشارات الصادرة عن بعض عواصم النفوذ العالمية حول ضرورة الانتقال من خنادق العسكر إلى غرف الحوار لحل مشاكل المنطقة العربية، تعني بصورة رئيسية إضافة إلى مشكلات النفوذ المتعددة، البحث بالوسائل السياسية عن حلول لأخطر أزمة يعيشها أهل المنطقة مع النظام الإيراني منذ وصوله إلى السلطة عام 1979. لكن واقع الحال يحكي قصة أخرى لهذه العلاقة الملتبسة تجعل التشبث بالحلول الدبلوماسية أكثر تعقيدا.

ما تواجهه البلدان العربية المتضررة من إيران بشكل مباشر في العراق والسعودية وبلدان الخليج وسوريا ولبنان واليمن، ليست مشاكل ومزاعات دبلوماسية ذات طبيعة ثنائية كقضايا الحدود البرية والبحرية قد تحل عبر التفاوض والحوار والتنازلات، إنما هي مشكلة أيديولوجية النظام الإيراني في إصراره وعدم تنازله عن مشروع تصدير الثورة وتعميمها في هذه البلدان والتي تحولت بمرور السنوات من الخانة الدعوية إلى برنامج أمني مسلح متواصل نفذته ميليشياته بعد كارثة العراق باحتلاله عسكريا وتسليمه لطهران من قبل الولايات المتحدة.

استراتيجية وسياسيا وقعت بعض بلدان الخليج العربي في الخطأ التاريخي الذي تحصد نتائجه اليوم بتسهيل ودعم تدفق قوات الاحتلال الأميركي للعراق، ثم الترحيب غير المبرر بوصول قيادات الإسلام البرية إلى السلطة في بغداد، رغم معلومات بعض العواصم، خاصة الرياض، بأن هؤلاء ليسوا متقدمين ومصلحين أو بناة لعهد جديد متصالح مع مواطنيه وجيرانه العرب، إنما سيتحولون بعد العراق إلى أدوات لمشروع الولي الفقيه الإيراني في الخليج.

تكثيف شعارات التعايش والتصالح والتهدة مع نظام طهران خدعة كبيرة وسياسة جديدة تقودها إدارة بايند لمنع انهيار ذلك النظام وتخفيف الضغط عنه وتأهيله ليتحول إلى شريك في النفوذ وفق أفكار الرئيس الأميركي الأسبق أوباما. هذه البدعة ينبغي ألا تمر على بلدان الخليج، فالإدارات الأميركية ليست منظمة خيرية، وحين اقتضت المصالح إرسال الجيوش إلى العراق واحتلاله تم ذلك تحت مختلف المبررات.

لا توجد في سياسات واشنطن وعواصم أوروبا أي رغبة للتضيق على نظام ولي الفقيه أو المساعدة على إسقاطه، بل على العكس من ذلك استمراره ضرورة استراتيجية لا يترزق

